

تمهيد :

إن أغلب المناطق التراثية ذات القيمة تقع في محيط حيوي نابض وعمران قائم، مما يوجد نوع من التفاعل بين تلك النطاقات والتأثير المتبادل، حيث تؤثر البيئة العمرانية المحيطة على المناطق التراثية وتتأثر بها، وهو ما يستوجب الوعي بمدخلات البيئة العمرانية المحيطة وعلاقتها بالمناطق ذات القيمة وخاصة في حالات إعادة الاستخدام للأثر أو نطاقه المحيط. هذا وتباين الاتجاهات التي تحكم عمليات التنمية للمناطق التاريخية والتراثية في ثلاث اتجاهات: الاتجاه الأول يتمثل في اتجاه الحفاظ والصيانة الذي يعتمد بشكل رئيسي على العمل على استمرارية حياة المناطق التاريخية بهدف المحافظة على كيانها ورمزيتها، أما الاتجاه الثاني فيتمثل في التغيير والتطوير وهو يركز على تغيير كل الصياغات القديمة وإبدالها بصياغات جديدة تتلاءم مع التطورات الحادثة والمتوقعة في المنطقة، حين يبرز الاتجاه الثالث كاتجاه متكامل يحاول التوفيق بين كل من الاتجاهين السابقين، ويمكن طرح مفهوم الحفاظ العمراني الإيجابي كمفهوم مركب باعتباره حلاً توفيقياً بين المحافظة على التراث وبين الاستجابة لضغوطات ومتطلبات التنمية وتحدياتها، وهو ما يمثل حلاً ممكناً عند التعرض لثنائية شديدة التعقيد والتراكب كثنائية التراث والتنمية العمرانية، حيث يبرز التعارض بين مفهومي تعبير التراث بما يتطلبه من توجهات الثبات والاستقرار والمحافظة وتعبير التنمية العمرانية بما تتضمنه من معاني التطوير والتغيير واستبدال القائم بالمستهدف، حيث يتوجه الحفاظ العمراني الإيجابي إلى المحافظة على القيمة والوجود المادي على مستوى، وإلى التحكم المبدع في العمران والتنمية العمرانية على المستوى الآخر.

مواقع الحفاظ العمراني :**إشكاليات التعامل :**

تتباين المواقع التراثية من حيث كيفية التعامل معها وتنميتها بغرض أو بآخر، هذا وتبرز أنشطة الزيارة السياحية والاستخدام السياحي من قبل الإنسان كعنصر أساسي مؤثر في عمليات الحفاظ والتنمية للنطاقات التراثية وذات القيمة. ترتبط مصادر التراث الثقافي بشكله العام ونطاقاته المتسعة بمجالات التنمية السياحية، وتعددت أنماط السياحة المعنية بالتراث الثقافي أو تلك التي تهدف إلى الإثراء بالقيم الثقافية والمعرفية والتاريخية للتجربة السياحية، وتوصف السياحة الثقافية بدقة أكثر بأنها سياحة تراثية في داخل نطاق السياحة البيئية حيث يكون التراث غاية في حد ذاته، ثم تطور المفهوم إلى السياحة الباحثة عن الأنشطة الثقافية، وقد تبنت المدن في أوروبا وأمريكا مفهومها

جديدا قائما على إيجاد صورة سياحية جديدة جاذبة للسائحين تجسد تراث تلك المدن وقد أطلق على تلك السياسات "تسويق المكان" وهي لا تعني مجرد الإعلان عن المكان للجذب السياحي ولكن تعني إعادة التخطيط والاستخدام المرشد للمكان والذي يعتمد على القيمة التاريخية والتراثية له وتميزها واختلافها في المضمون الاجتماعي والاقتصادي والثقافي عن غيرها، ولقد أثمرت سياسات "تسويق المكان" وإعادة بناؤه العديد من الإيجابيات ليس فقط من المنظور السياحي والاقتصادي ولكن الاجتماعي والإنساني أيضاً. غالبا ما تكون زيارة المواقع التاريخية والآثار والمتاحف نوعاً من السياحة له جانبان، فمن ناحية له وظيفته التعليمية والاجتماعية لمساعدة الزائرين في التعرف على المزيد من ثقافة المجتمعات، ومن ناحية أخرى فإنها تعتبر مخاطرة جسيمة لاسيما بالنسبة للمواقع الضعيفة من الناحية الفيزيائية كالنقوش الأثرية على جدران المقابر وغيرها والتي تتعرض للإفراط في استثمارها من جانب السياحة مما يؤدي إلى فقد المجتمعات المحلية لعلاماتها الثقافية التقليدية المميزة لها، فلقد أصبح تأثير السياحة على التراث ملموسا بحيث دائما ما يثار سؤال عما إذا كان من الممكن أن تستمر السياحة الثقافية في الطريق الحالي دون أن تترتب عليها أضراراً جسيمة؟ فبالرغم مما تحظى به البيئة الطبيعية من جهود لدعم التنمية المستدامة لم يوجه غير اهتمام ضئيل بشأن استدامة البيئة الثقافية والذي تمثل السياحة الوسيلة الأساسية لتنميتها واستغلالها اقتصادياً. وتكمن خطورة اتجاهات السياحة الثقافية الحالية في نموها السريع حيث قفز عدد السائحين قفزات هائلة في العقود الأخيرة، كما ارتفع معدل إنفاقهم بشكل متزايد ومعظم الدول التي تشهد نمواً سريعاً للسياحة تستخدم الدخل العائد من سياحة المواقع الثقافية لأغراض أخرى غير صيانتها والحفاظ عليها وهو أمر تبرره الأزمات الاقتصادية التي تمر بها بعض الدول، وتشير الإحصاءات الدولية أن الاستثمارات الخاصة والعامة لحماية التراث "الصيانة والترميم والتجديد" آخذة في الانخفاض بوجه عام، بينما الاستثمارات المخصصة لتطويره لدعم الوظيفة السياحية آخذة في الارتفاع. ترتبط المبادئ الدولية للسياحة الثقافية بمنظومة متكاملة ثلاثية الأطراف تضم التراث الثقافي وصناعة السياحة والمجتمع المحلي، وقد أصدر المجلس الدولي للآثار والمواقع الميثاق الدولي للسياحة الثقافية في أكتوبر 1999 (ICOMOS) المبادئ الأساسية لتحقيق العلاقة التبادلية التكاملية بين متطلبات الحفاظ على البيئة التراثية وسياسات الجذب السياحي وفائدة المجتمع المحلي .

1-/- أساليب التعامل مع المناطق التاريخية :

تتنوع الأساليب التي يتم بها التعامل مع المباني والمناطق التاريخية، ويتم تحديد أسلوب التعامل مع كل منطقة بما يتناسب وظروفها والأهداف الموضوعية للمشروعات المختلفة . وتقوم الإدارات المحلية بدور هام ورئيسي في تلك

المحيط

المشروعات ، حيث أنها طبقاً للقوانين المنظمة للعمارة هي الجهة المنوط بها الإدارة والإشراف على تنفيذ العمران ، والتعامل مع المناطق التاريخية يتم من خلال إحدى طرق التعامل أو بإشراك عدد من الطرق والأساليب المختلفة التي تتعدد مسمياتها واصطلاحاتها.

- أساليب التعامل مع المباني التاريخية :

-/- الترميم:

يتعامل هذا الأسلوب مع حالات فردية من المباني التاريخية والأثرية المتهالكة الواقعة داخل النسيج العمراني للمدن القديمة بشكل منفصل ، لذا فهو يهتم بالقيم الثقافية للأثر وليس بقيمته الوظيفية أو الاقتصادية أي يؤكد هذا الأسلوب على النواحي الروحية والرمزية للمباني واعتبارها قيمة تراثية تعكس العصر الذي شيدت به ، وقد يكون الترميم لمبنى تاريخي واحد ذو قيمة معمارية أو فنية ، أو مجموعة مباني تعتبر مع بعضها ذات قيمة أو أهمية تاريخية أو عمرانية أو بصرية ، أو شارع أو ممر أو سوق لهم قيمة تاريخية أو فنية أو معمارية أو عمرانية وتعني سياسة الترميم إرجاع المبنى التاريخي إلى شكله وحالته الأصلية وذلك من خلال إحلال بعض الملامح التي قد تم تدميرها وإزالة الإضافات وإكمال العناصر المفقودة المتحللة في تناغم وتناسق كامل مع المبنى التاريخي فعمليات الترميم تتم لعلاج التلفيات والعيوب بمواد المبنى التاريخي وجعله صالح للاستخدام ويكون ذلك على أساس احترام المواد الأصلية والتصميم الأصلي والقيم التاريخية للمبنى ، فيتم استخدام نفس مواد المبنى القديم أو مواد مماثلة لها وبنفس أسلوب الإنشاء القديم مع مراعاة إبراز مواد المبنى القديم الأصلية فلا يجب طمس معالم الاختلاف بين القديم والحديث . وتتطلب أعمال الترميم دقة عالية واستخدام عمالة ماهرة ومواد ذات جودة مرتفعة وألا يتسبب الترميم في تشويه المبنى التاريخي وهدم قيمته الفنية ، كما يجب أن يصاحب أعمال الترميم علاج لأسباب الانهيار والتلف لكي لا تعود مرة أخرى.

-/- الحفاظ:

ويقصد بها تلك الإجراءات التي تتخذ لمنع التلف والتآكل وإطالة حياة المبنى التاريخي والحفاظ عليه ، ويتراوح مجال هذا الأسلوب من الاهتمام وعرض قيمة عمل معماري تاريخي صغير إلى الحفاظ على مواقع ومعالم معمارية كبيرة مميزة لها قيمتها التاريخية المرتبطة بالتراث القومي.

-/- الصيانة و الحماية:

المحيط

ويقصد به استمرارية الحفاظ على المبنى التاريخي أو الأثري وذلك بعد ترميمه . وعملية الصيانة الدورية ضرورية جداً خاصة بعد عملية الحفاظ على المبنى ويمكن تحقيقها بإعادة استعمال المبنى وإشغاله بأفراد قادرين على المحافظة عليه وصيانتة بصورة دورية مستمرة (تحويلها إلى متحف مثلاً).

- / إعادة الاستعمال :

ويقصد به تهيئة المبنى التاريخي لإعادة استخدامه بنفس الاستعمال القديم أو بوظيفة مستحدثة بحيث لا تصبح هذه المباني جامدة مهجورة ، والاستخدام الأمثل للمبنى التاريخي هو الذي يعتمد على قيمة المبنى ولا يتعارض معها ويصاحب التغير في الاستعمال تعديلات مختلفة في البناء حتى يلاءم متطلبات الوظيفة الجديدة ويراعى أن تكون هذه التعديلات بحدود معينة بحيث تضمن الحفاظ على أصالة المبنى وقيمتة التاريخية . ومن المرجح عند إعادة استخدام المبنى التاريخي في وظيفة جديدة أن يتم استعماله كمزار سياحي وذلك يتوقف على أهمية المبنى التاريخية والفنية كعنصر جذب ومدى توافر طرق الوصول السهلة المؤدية للأثر ومدى توافر الخدمات السياحية المجاورة ، أو يتم استخدام المباني ذات الأهمية الأقل في وظائف تقليدية تخدم المجتمع وتلائم مع احتياجاته ومتطلباته ليتكامل الأثر مع ما حوله وتضمن بذلك استمرارية الحفاظ عليه.

- أساليب التعامل مع المحيط العمراني للمباني التاريخية :

- / الحماية :

ويقصر هذا النوع من السياسات على المناطق التاريخية أو الأثرية وأحياناً يتبع بالمناطق الحديثة ذات الطابع المميز . وتكون الحماية لمباني معينة أو للنسيج العمراني أو الطابع المعماري كما يتسع أحياناً المفهوم ليشمل حماية الهيكل الاجتماعي والاقتصادي بالمنطقة ٢ بجانب الهيكل العمراني . وتشمل أنشطة أسلوب الحماية ما يلي : حماية الهيكل المادي للمنشآت من التدهور ، حماية البيئة العمرانية ، حماية الصورة البصرية على مستوى المباني والمناطق العمرانية وحماية البيئة الاجتماعية والاقتصادية والأنشطة المميزة للسكان.

- / الحفاظ :

وسياسة الحفاظ تعرف بأنها الأعمال التي تتخذ لمنع التلف والتآكل والتي تطيل بقاء الميراث الطبيعي والبشري للإنسانية من الصرح الهائل إلى الأثر الضئيل ، وسياسة الحفاظ تتبع عادة بالحقب التاريخية وذلك في حالة وجود مباني داخل الحيز التاريخي يراد الحفاظ علي الطابع المعماري المميز لها فإنه يلجأ لهذه السياسة لاستكمال المظهر

المحيط

العام داخل الحيز التاريخي . وكذلك في حالة الحيز التاريخي الذي تخرب تماماً أو تعرض بشكل جوهري لتعديلات طمست معالمه الأصلية فإنه في هذه الحالة يتم أعداد التصميمات المعمارية واختيار المواد بحرية في إطار المخطط العام المحدد للطابع المميز المفروض المحافظة عليه بالحيز التاريخي . ولقد امتد مفهوم الحفاظ ليشمل المحيط العمراني للمباني و المجموعات التاريخية والمنشآت ذات الطابع المعماري المميز بصرف النظر عن قيمتها التاريخية وامتد بالإضافة إلى ذلك ليشمل الأنشطة والاستعمالات والصناعات الحرفية التي تمارس بالمحيط العمراني أو المنطقة التاريخية

- / الإحياء :

وهو إعطاء حياة جديدة لمبنى ، عمل ، مجتمع ، أو منطقة عمرانية.... إلخ . ويقصد به الرجوع إلى الحياة . وهذه السياسة ليست قاصرة على المناطق التاريخية فحسب بل تمتد للمناطق القائمة والمناطق المعدة للامتداد العمراني وذلك بإحياء القيم التراثية في تخطيط وإنشاء هذه المناطق وهو محاولة للاستمرار الحضاري بين الماضي والحاضر والمستقبل مع استرداد الشخصية المعمارية المفقودة بالاعتماد على التراث واستراتيجية الإحياء يمكن أن تشمل المجالات الاجتماعية والعمرانية والمؤسسية ، وهي تضم جميع الجهات المشاركة في إدارة العملية العمرانية

- أساليب التعامل مع الأجزاء المتدهورة بالمنطقة التاريخية :

- / التجديد :

يقصد به تلك الجهود التي تهدف إلى تطوير البيئة العمرانية لتوفير المتطلبات الحالية والمستقبلية للحياة الحضرية سواء في مركز المدينة أو قريباً منه أو هو عبارة عن إعادة إصلاح المباني والأجزاء العمرانية المتدهورة بالمناطق التاريخية لتأهيلها لأداء وظيفتها التي فقدتها نتيجة لعدم ملائمتها للتغيرات المتلاحقة ويتم التجديد على مستويين هما: المستوى المدني :ويقصد به عمل التعديلات اللازمة للمباني سواء التاريخية أو الحديثة وهذه المعالجات تتم بطريقتين : معالجة داخلية بتوفير ومعالجة الاحتياجات الإنسانية في الاستعمال والراحة والأمان ومعالجة خارجية وهي معالجة الشكل الخارجي مع السماح بإجراء تعديلات لا تؤثر على الطابع المميز لهذه المباني. المستوى العمراني : يهدف إلى إعادة الأنشطة التي كانت تمارس بالمنطقة إلى المستوى المناسب وقد يصاحب ذلك تغيير في الاستعمالات وشبكة الحركة كما يلزم تزويد المنطقة بالمرافق والخدمات المناسبة.

- / إعادة التأهيل :

المحيط

ويقصد بإعادة التأهيل أو الإعمار إعادة منطقة أو مبنى إلى مستوى معين من الكفاءة ، وإعادة إصلاح مرافقها ، ويكون لها وظيفة وليس من الضروري أن تكون الوظيفة الأصلية التي أنشئ المبنى لها في الأصل وغالباً يستخدم هذا الأسلوب مع المباني ذات القيمة.

- / التحسين :

وهو يمكن أن يشمل مبنى أو منطقة عمرانية ويطلق لفظ التحسين على أية أعمال تهدف إلى رفع أو زيادة القيمة ، مستوى الراحة ، تحسين المرافق ، ويمكن أن تكون الأعمال في المجال العمراني ، الاجتماعي ، الثقافي ، الاقتصادي . مع إضافة لمسات جمالية تعتمد على حسن استغلال الإمكانيات المتوفرة بالمنطقة سواء كانت بجهود حكومية أو فردية ، ويكون للجهود الذاتية دور أساسي في تحسين البيئة العمرانية مثل أعمال النظافة والإضاءة للشوارع والتشجير . ويعتبر مرادف للارتقاء ، ولو أن هذا المفهوم يبدو أكثر ملائمة للاستعمال عند الإشارة إلى المأوى أو مكونات البيئة الأساسية ولذلك يعتبر هو أكثر تقييداً.

- أساليب التغيير للأجزاء المتدهورة بالمناطق التاريخية :

- / الإزالة :

و تتم على مستويين و هما:

- إزالة المناطق المتدهورة كاملة: لا يتم التعامل بهذا الأسلوب مطلقاً في المناطق التاريخية لأن إزالة المناطق

التاريخية تعنى تدمير نسيجها العمراني ومبانيها التاريخية وطابعها المميز.

- الإزالة الجزئية لبعض المباني وأجزاء من النسيج العمراني: وهو الأسلوب الذي يسمح به في التعامل

مع الأجزاء المتدهورة بالمنطقة التاريخية حيث تزال بعض الأجزاء التي ليس لها أهمية تاريخية أو معمارية بهدف إعادة تعميرها وقد يتبع هذا الأسلوب تغيير بعض الاستعمالات مع تغيرات طفيفة في النسيج العمراني والذي يجب ألا يكون دخليلاً غريباً بل متماشياً ومتجانساً مع النسيج الفعلي للمنطقة. بالإضافة إلى ترحيل عدد من السكان إلى خارج المنطقة ولهذا يجب تحديد النقاط التالية بدقة ومراعاتها قبل عملية الإزالة وهي تقدير تكلفة الإزالة الجزئية وتوفير التمويل اللازم لتعويض السكان في حالة عدم توافر بديل لهم وعمل حصر للسكان في منطقة الإزالة الجزئية وتوفير إسكان بديل لهم بمواقع داخل أو خارج المنطقة . ولهذا الأسلوب سلبياته المتعددة والتي تؤدي إلى صعوبة تنفيذه

- / الإحلال التدريجي :

ويعتبر الصورة المعتدلة المرحلية لأسلوب الإزالة لتجنب سلباتها الاجتماعية والاقتصادية وتتم بأسلوبين:

الأسلوب الأول وهو إزالة كافة المناطق المتدهورة على مراحل زمنية تدريجياً بعد بناء مساكن جديدة في مناطق فضاء داخل أو خارج المنطقة أو توفير بديل لسكان المرحلة الأولى للانتقال إليه ثم بعد ذلك يتم إزالة مساكنهم وبناء مساكن حديثة مكانها ينتقل إليها سكان المرحلة التالية وهكذا حتى يتم إزالة وبناء المنطقة المتدهورة بأكملها.

أما الأسلوب الثاني وهو إزالة المباني المتدهورة فقط وبناء مساكن مكانها تدريجياً حتى تتم عملية الإحلال لكافة المباني الرديئة والمتدهورة وهذا الأسلوب هو الأنسب للمناطق التاريخية حتى لا يحدث تدمير للنسيج العمراني القديم .

وقد يتم إقامة المباني الحديثة بطابع ونوع المباني القديمة للحفاظ على الطابع العمراني بالمنطقة التاريخية

- / إعادة التعمير :

إعادة التعمير إستراتيجية لمخطط جديد بالكامل لمنطقة محددة يستلزم إخلائها من المباني قبل إنشاء مباني جديدة لتنفيذ الموقع العام. ويجب عدم اللجوء إلى هذا الأسلوب في التعامل مع المناطق التاريخية إلا بصورة جزئية وفي الأجزاء المتهدمة والمتهاكة والتي لا يصلح معها أي معالجة أو إصلاح ويجب وضع الاحتياطات اللازمة التي تضمن تنفيذ المخطط المقترح به إعادة التعمير وتوفير التمويل اللازم لضمان تنفيذ هذه المخططات.

- الأساليب الشاملة للتعامل مع المناطق التاريخية :

- / الحفاظ بمفهومه الشامل :

لقد امتد مفهوم الحفاظ بعد أن كان يشمل المباني التاريخية وذات القيمة فقط ليشمل المناطق التاريخية ككل بمبانيها وأنشطتها و صناعاتها الحرفية وطابعها ونسيجها . وتطور هذا المفهوم ليصبح سياسة خاصة في التخطيط

مباني تاريخية تاريخية

التاريخية تعالج المعالم التاريخية في

وتتغير مجتمع

- / الإحياء بمفهومه الشامل :

تعتبر العمراني التاريخية تخطيطها .

المقترحة التاريخية

والعمراني إلى

المحيط

هذه	التراثية	التراثية في	الحالي
كالتالي:			
- إحياء الشكل :	للمباني التاريخية	تھ	تھ
إلى	بالمباني التاريخية	ويعتبر	
مكروه			
- إحياء الوظيفة :	التاريخية	المباني التاريخية	
والمباني بھ	في	التراثية	
بھ	التاريخية أهمية أكبر	أهميتها التاريخية.	
- الإحياء بمفهومه الشامل :	هما	تعبير	هما
	تھ		
في لھ	التراثية	التاريخية	التراث
		هذه	يعنى
	التراثية	في	
	بھ	شمولاً	مجرد
		التراث.	
- / الإرتقاء :			
إلى	إلى	إلى	بھ
تختلف	إلى	مجتمع إلى	
هذه			
	إلى	التاريخية .	
ويعتبر	والتي		
ويجب	يحتوي	والترميم	التدريجي
		إلى	

التاريخية يعتبر

التاريخية

/- إدماج الأساليب الشاملة :

التاريخية

(

)

التاريخية

هذه

سياسي

التاريخية .

في

كثير